Received : 20 / 8 / 2024 Accepted : 22 / 9 / 2024 Published : 9 / 7 / 2026

دور البيئة الثقافيـة في تشكيل المنظومة القيمية

عمار منصور عبد النبي صالح

Ammar1976@uomustansiriyah.edu.iq

الجامعة المستنصرية ، كلية التربية

الملخص

تعد الثقافة بأنها مجموعة القيم الأساسية، والإدراكات، والسلوكيات التي تَعَلَّمَها الفرد من الأُسرة ومن المؤسسات الأُخرى في المجتمع، مثل المؤسسات الدينية، والتعليمية، والمهنية. تقع اشكالية البحث الى ان المنظومة القيمية هي مجموعة من المعايير الإجتماعية، والأفكار، والإتجاهات، والممارسات والسلوكات التي تتكون لدى الفرد من خلال تفاعله مع بيئته الإجتماعية، بما تحويه من مواقف وخبرات فردية وإجتماعية، بحيث تمكّنه من إختيار أهدافٍ وتوجيهاتٍ لنظام حياته، وفي تعامله مع الآخرين. تكمن اهمية البحث الى ان البيئة الثقافية تلعب دوراً في غرس المفاهيم المرتبطة بالبيئة المادية للمدرسة ولها نفس الأهمية. هدف البحث الى ان الأُسرة تعد من أهم الجماعات الإجتماعية الأولية التي تتولى غرس منظومة القيم للمجتمع ككل، وفي نفس الوقت غرس القيم التي تعتنقها الأُسرة ذاتها.

الكلمات المفتاحية : بيئة ، ثقافة ، منظومة ، قيم ، اجتماع

The role of the cultural environment in shaping the value system

Ammar Mansour Abdel Nabi Saleh

Mustansiriyah University, Faculty of Education

Abstract

Culture is the set of basic values, perceptions, and behaviors that an individual has learned from the family and other institutions in society, such as religious, educational, and professional institutions. The research problem lies in the fact that the value system is a set of social standards, ideas, trends, practices, and behaviors that are formed in the individual through his interaction with his social environment, including individual and social positions and experiences, so that he can choose goals and directions for his life system, and in his dealings with others. The importance of the research lies in the fact that the cultural environment plays a role in instilling concepts related to the physical environment of the school and has the same importance.

Keywords : environment, culture, system, values, society

المقدمة

ان ما وصل إليه البشر من تقدُّم في أي مجال من مجالات الحياة الا بدراسة القيم التي نشرتها الحضارة الإسلامية منذ عهد النبوة والى زماننا الآن،اذ ان أكثر الموضوعات المهمة التي تلحظها عين الراصد لمسير الإنسانية على مر التأريخ الحضاري هو ذلك الترابط القيمي بين تلك الحضارات، ليس لأنه يمثل حلقة مهمة من حلقات التأريخ فقط، وليس لمجرَّد أنه ربط الحضارات القديمة بالحضارات الحديثة، ولكن لأن إسهامات المسلمين في مسيرة الإنسانية تأكدت فيه وتشكلت ملامحها ضمنه.

أن التراجع الحضاري في مختلف المجالات الفكرية والأخلاقية والاقتصادية والسياسية ناشئ من اهمال منظومة القيم في البناء الحضاري، فكان لابد من أهمية الكتابة في هذا المواضيع لإظهار أثر القيم كفلسفة متبناة من قبل الدين الاسلامي في الدعوة والدعاة والمدعوين وانها سبب نهضة الأمة ورقيها الحضاري، ومع ازدياد الهجمة الشرسة الموجهة التي تستهدف الحضارة الاسلامية بدقائقها

وخصائصها، اذ من اشكال هذه الهجمة وآلياتها هو اتهام المسلمين بالتخلف والرجعية، ووصفهم بالجمود والهمجية، وادعاء أن العنف والإرهاب من صميم أخلاقهم وصفاتهم... إلى غير ذلك من الصفات التي تنسب كذبا وزورا إليهم مع أن المسلمين حققوا للبشرية ولانفسهم السعادة والرُقيّ حيناً من الدهر عندما التزموا بمنهج الإسلام الرباني الشامل، حيث ظهرت حضارة الإسلام حينما تفاعل المسلمون مع الإنسان والكون والحياة – عناصر الحضارة – انطلاقاً من هدي الإسلام وتعاليمه وقيمه ومبادئه.

وكان هذا الانطلاق – للحضارة – مصاحباً لانتشار الدعوة الإسلامية بعقيدتها الصحيحة ، التي تحركهم صوب الرقي والتقدم والازدهار، فغيرت مجرى الحياة، وصححت مسار البشرية، وحولت اتجاه التأريخ.

اذ يؤكد البحث على بيان أثرودور البيئة الثقافية في تشكيل المنظومة القيمية الإسلامية في النهوض بالبشر والرقي بهم، وأن المسلمين كان لهم الفضل الأكبر على العالم كله في انتشالهم من الظلمات الى النور.

ويلخص البحث على تأكيد التميز الثقافي لمنظومة القيم الإسلامية على غيرها من فلسفات، وذلك لخصوصيتها المتفردة واستقلالها التام حيث ان مصدرها الايمان والتوحيد الخالص.

ومن أجل ما تقدم اخترت هذا البحث، محاولا اماطة اللثام عن الموضوع بتجرد كبير، واقتضت خطة البحث تقسيمه على مقدمة ومبحثين وخاتمة، تناولت في المقدمة السبب من وراء اختيار عنوان البحث، وخصصت المبحث الاول لتعريفات ذات الصلة ، وجعلت المبحث الثاني لدور البيئة في غرس ثقافة القيم، واما الخاتمة فقد أوجزت فيها اهم نتائج البحث وما توصلت اليه في هذه الرحلة الماتعة والمباركة، واخيرا فهذا جهد المقل فان وفقت فهو محض فضل من الله وان كانت الاخرى فمني ومن الشيطان، والله تعالى ورسوله صلى الله عليه واله وسلم براء منه.

الباحث : المبحث الاول

تعريف مصطلحات المفاهيم

ان تحديد المفاهيم والمصطلحات يعد من مستلزمات البحث العلمي، باعتبار أن تحديد المفاهيم هو بوابة العلم والطريق الى المعرفة ، ومما يزيد من أهمية ذلك تحديد المفاهيم هو انتماء تلك المفاهيم والمصطلحات إلى العلوم الإنسانية وارتباطها بهذه العلوم بمختلف أنواعها وفروعها المتعددة , ولأن المصطلحات والمفاهيم ركن مهم في تحصيل المعارف واكتساب العلوم بها يتأسس البناء المعرفي لأي علم من العلوم، بحيث لا تستقيم أي علم ولا تغدو مصطلحاتها واضحة المعالم وجلية في المكونات والدعائم والأسس لدى متلقيها ومكتسبيها دون تحديد وتوضيح لهذه المصطلحات المتداولة والشائعة في العلوم بمختلف جوانبها .

المطلب الاول/ مفهوم البيئة :

اولا البيئة لغة : مما يجدر ذكره: أن إيراد الاشتقاقات المتنوعة للكلمة واستعمالاتها لها أهمية كبيرة في التوصل إلى أبعادها ودقائق محتوياتها ، وكلمة (بيئة) اشتقت من الفعل الرباعي(بَوَّأَ)، الذي يعود الى الثلاثي المجرد : (بَوَأَ) الذي أُخِذ منه الماضي (باء)؛ لأن الواو المتحرك إذا كانت قبلها متحركاً انقلبت ألفا، مثل قالَ مِن قَوَل، فهو (باءَ يَبُوْءُ بَوْءاً) على وزن (فَعَلَ يَفْعُلُ فَعْلاً)، أي: الباب الأول من الثلاثي المجرّد، يقال: بوأتك بيتا، أي: اتخذتُ لك بيتاً، وتبوّأ، أي: نزل وأقام، وبوأه فيه، أي: هيأه ومكن له فيه والباءة النكاح سمي بذلك ؛ لأن الرجل يتبوّء من أهله، أي: يستمكن من أهله، كما يتبوّأ من داره ، و قيل: لعقدِ التَّزويج باءة؛ لأن من تزوج امرأة بوّأها منزلاً، و المبأة منزل النوم في كل موضع، وتسمى معاطن الإبل ومباركها عند الماء ((المباءة)) (آبادي، 2011، صفحة 39) ، وكذلك البيئة تعبر عن الحالة، فيقال: هو سيء البيئة، أي: بحالة سيئة (رشوان، 2006، صفحة 4) .

ثانيا البيئة اصطلاحا : (عمر، 2015، صفحة 3) :

البيئة: لفظ شائع الاستعمال، وربما يتعذر أحياناً إعطاء تعريف لمصطلح متعدد الأغراض والمعاني؛ لأن كل فرد يفهمه في حدود استخدامه المباشر له، ولهذا لم يتوحد العلماء في تحديد مفهوم البيئة، بل تعددت تعاريفاتهم ، وتباينت آراؤهم حسب تخصصاتهم ومجالاتهم.

وإذا نظرنا إلى هذا المصطلح نظرة فاحصة نرى أنه ليس حكراً على علم بعينه، ولا يقتصر استعماله على مجال بذاته ، ومن خلال كل التعريفات المتعددة لمصطلح البيئة ، أوجز وأحدد تعريف مصطلح البيئة على النحو الآتي: البيئة:هي المكان ، أو الإطار

(أرناؤوط، 2006، صفحة 17) الذي يعيش فيه الإنسان، ويحصل منه على مقومات حياته من غذاء وكساء ودواء ومأوى، يمارس فيه علاقاته مع أقرانه من بني البشر (أرناؤوط، 2006، صفحة 18) .

وهذا المصطلح كما ذكر قبل قليل ،هومصطلح شائع الاستعمال ؛ لذا يرتبط مدلوله بنمط العلاقة بينه وبين مستخدمه ، فيقال: البيئة الوراثية، والبيئة الاجتماعية، والبيئة الثقافية، والبيئة الريفية، والبيئة الحضرية، والبيئة الزراعية، والبيئة الصناعية، والبيئة السياسية...الخ.ونعني بكل ذلك النشاطات البشرية المتعلقة بهذه المجالات . (ابراهيم،2011،28)

المطلب الثاني: مفهوم الثقافة

اولا الثقافة لغة: ثقفت الشيء حذقته،اذا ظفرت به، قال تعالى : "فأما تثقفنهم في الحرب"وثقفت الرجل ثقافة ، اي صار حاذقا خفيف (منظور، 1994، صفحة 345) .

- وثقفت هذا الكلام من فلان ، ورجل ثقف لقف (فارس، 1979، صفحة 287) . قال تعالى: (فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون) (ال عمران،57). وقال تعالى (واقتلوهم حيث ثقفتموهم) البقرة،191) .

ثانيا الثقافة اصطلاحا: يمكن تعريفها بإيجاز بأنها :"مجموعة العقائد والأفكار والطقوس والعادات والتقاليد التي تميز شعبا عن شعب آخر، وترجع إلى جذور دينية أو إثنية أو علمانية، الأمر الذي يعطي لجماعة بشرية أو مجتمع معين خصوصية معينة ثابتة ومستقلة عن خصوصيات الشعوب والجماعات الأخرى، وهذه الخصوصية الثقافية تزداد أهميتها إذا نظرنا إليها بوصفها نتاجا تاريخيا يحمل عبر الزمن تصورات وآراء ومعتقدات، وأيضا طرائق في التفكير وأساليب في الاستدلال قد لا تخلو هي الأخرى من خصوصية (الجابري، 1987، صفحة 13) .

كما يمكن تعريفها : بأنها كل المعتقد المتشابك من الحياة الانسانية المادية وغير المادية ، اي الفكرية او المعنوية الروحية التي ابتدرها الانسان، واكتسبها بوصفه عضواً في جماعة اومجتمع، في مرحلة معينة من تاريخ تطوره تقدما كان او تطوراً (هنتجنتون، 2000، صفحة 20) .

وفي قول اخر هي الجو المشتمل على أشياء ظاهرة مثل الأوزان والألحان والحركات، وعلى أشياء باطنة كالأذواق والعادات والتقاليد بمعنى أنها الجو العام الذي يطبع أسلوب الحياة في مجتمع معين، وسلوك الفرد فيه بطابع خاص، يختلف عن الطابع الذي نجده في حياة مجتمع آخر (نبي، 1991، صفحة 147) .

المطلب الثالث: مفهوم المنظومة

أولاً: المنظومة لغةً:

"**النَّظْمُ** : التأْليفُ، نَظَمَه يَنْظِمُه نَظْماً ونِظاماً ونَظَّمه فانْتَظَم وتَنَظَّم, ونظَمْتُ اللؤْلؤَ أي جمعته في السِّلْك, والتنظيمُ مثله، ومنه نَظَمْتُ الشِّعر ونَظَّمْته, ونَظَمَ الأَمرَ على المثَل. وكلُّ شيءقَرَنْتَه بآخر أو ضَمَمْتَ بعضَه إلى بعض، فقد نَظَمْتَه. والنَّظْمُ: المَنْظومُ، وصف بالمصدر, والنَّظْمُ: ما نظَمْته من لؤلؤٍ وخرزٍ وغيرهما، واحدته نَظْمه " (منظور، 1994، صفحة 578) ، وخلاصة القول إن اللغة: تدل على التأليف والجمع والترتيب والتنسيق وضمُ الشيءِ الى الشيء.

ثانياً: المنظومة إصطلاحاً:

المنظومة هي مجموعة من العناصر والمكونات المترابطة والمتفاعلة فيما بينها تخضع لتحويلاتٍ, وتحكمها قوانين وقواعد تشكل النظام الضابط للنظام من أجل بلوغ غاية ما (الفارابي، 1994، صفحة 305) .

وايضا تعني في جوهرها تنظيم الخبرات التعليمية التي تربطها ببعضها البعض علاقاتٌ شبكية تبادليةٍ تفاعليةٍ، تعمل معاً ككل، نحو تحقيق أهداف معينة وتتضح فيها العلاقات بين أي مفهوم وغيره من المفاهيم(جوسكي،200،1).

وهي ذلك التركيبُ الذي يتألف من مجموعة من الأجزاء المتداخلة التي تتفاعل مع بعضها البعض، وترتبط فيما بينها بعلاقات تأثير وتأثر مستمر، ويؤدي كل جزء منها وظيفة محددة وضرورية للمنظومة بأكمله (الصعيدي، 2005، صفحة 534) .

من الملاحظ أن أجزاء المنظومة أنها تعمل كل واحدة منها بوظيفة معينة, لها علاقةٌ بالأُخرى, وبالتالي هي جميعها تعمل جنباً الى جنب على شكلِ منظومةٍ متكاملة.

ويُمكن تعريف المنظومة بأنها: (كيانٌ متكاملٌ يتكون من أجزاء وعناصر متداخلة، تتبادل الوظائف والأنشطة, وتكون محصلتها النهائية متابعة النتائج التي يحققها النظام كله).

المطلب الرابع: مفهوم القيم

أولاً : القيم : لغةً

القيمة : واحدة القيم ، فعله يُقيمُ ، وماضيها : قَيَّمَ وأصله الواو لأنه يقوم ما قم الشيء فالقيمة ثمن الشيء بالتقويم "تقول تقاوموه فيما بينهم ، وماله قيمة إذا لم يدم على شيء (منظور، 1994، صفحة 406) .

ومنها القيام أي العزم ومنه قوله تعالى في سورة الكهف: (اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض) (14الاية) ، أي عزموا فقالوا، وهو المحافظة والاصلاح ومنه قوله تعالى في سورة الاسراء الاية 34 (الرجال قوامون على النساء) ومنها المحافظة ومنه قوله تعالى في سورة ال عمران (الا ما دمت عليهم قائما15)أي ملازماً ومحافظا (منظور، 1994، صفحة 67) ، ومنها القائم بالدين أي المستمسك به والثابت عليه ، وكل من ثبت على شيء فهو قائم عليه ، والقائم في الملك الحافظ له ، وماء قائم أي دائم (المقري، 1983، صفحة 530) .

ومنها الاستقامة : أي اعتدال الشيء واستواؤه ، وقَومتُه فَقَامَ بمعنى استقام ومنها قوله تعالى في سورة فصلت(ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا30)، أي : عملوا بطاعته وعملوا بسنة نبيه(الزبيدي،380،.وفي الحديث الشريف عن سفيان بن عبدالله الثقفي قال قلت يارسول الله : "قل لي في الاسلام قولاً لا أسأل عنه أحدًا بعدك: قال: قل آمنت بالله فاستقم (النووي، 1972، صفحة 65).

فلفظة القيم تستعمل للخصال الحميدة المرشدة للناس المعبرة عن المبادئ المتمسكة بروح الاسلام في المواقف الحياتية كافة.

ثانياً : القيم اصطلاحاً:

تتنوع وتتعدد تعريفات القيم تبعاً للاطار المرجعي الذي يخضع له الباحث ، ولذا فهناك العديد من التعريفات الخاصة بالقيم والتي تنبع من اعتبارها موجهات السلوك أو العمل . ولا يخرج المعنى الاصطلاحي للقيمة عن المعنى اللغوي في المنظور الاسلامي والأدب العربي .

فهي تعني : "ما قوم به الشيء بمنزلة المعيار من غير زيادة ولا نقصان ، وعرفت أيضاً : "مجموعة من الأحكام المعيارية المتصلة بمضامين واقعية يتشربها الفرد من خلال انفعاله وتفاعله مع المواقف والخبرات المختلفة ، ويشترط ان تنال هذه الاحكام قبولاً من جماعة اجتماعية معينة حتى تتجسد في سياقات الفرد وسلوكه واتجاهاته ومعتقداته (زاهر، 1984، صفحة 9) .

وذهب على النشار إلى أن القيم : "هي المثل العليا التي ينشدها الانسان لذاتها ولا يلتمسها لغرض يبتغيه من ورائها ؛ لأن الأشياء التي يطلبها الانسان لتحقيق أغراض معينة تعتبر نسبية ومتغيرة (النشار، 1971، صفحة 3) .

ومنهم من عرفها بأنها "مجموعة من القوانين والأهداف والمثل العالية التي تواجه الانسان سواء في علاقته بالعالم المادي او الاجتماعي او السماوي (المرهج، 2022، صفحة 287) .

اما من ناحية كتعريف مركب فالمنظومة متكاملة ولا تعمل كلٌ بصورة منعزلة عن غيرها من القيم التي تسود في ذلك المجتمع وإن حدث ذلك كان خروجاً عن القاعدة(سعيد،4).

وفي تعريف اخر هي مجموعة من المعايير الإجتماعية، والأفكار، والإتجاهات، والممارسات والسلوكات التي تتكون لدى الفرد من خلال تفاعله مع بيئته الإجتماعية، بما تحويه من مواقف وخبرات فردية وإجتماعية، بحيث تمكّنه من إختيار أهدافٍ وتوجيهاتٍ لنظام حياته، وفي تعامله مع الآخرين، وتتجسد في صورة تنظيمات لإحكامٍ عقليةٍ إنفعالية تتصف بالعمومية نحو الأفراد، والأشياء، والمعاني، وأوجه النشاط المختلفة"(العنايرة،2011،61).

ومن الملاحظ أن هذا المصطلح يدّل على فاعلية القيم بشكل جماعي مع غيرها من القيم, مما يجعلها تصمد أمام المتغيرات التي تطرأ على المجتمع, وهو ما دعا الباحثون إلى الإهتمام بها.

ويمكن القول بأن القيم مجموعة من المبادئ والمعايير التي يستخدمها الانسان من القرآن الكريم والسنة المطهرة وغيرها من المصادر وهي التي توجه سلوكه وتصرفه في المواقف المختلفة ومن خلال هذه التعريف تتضح العلاقة بين التعريفين اللغوي والاصطلاحي للفظة (القيم) وهي أن هذه المبادئ والمعايير التي يستمدها الانسان من القرآن والسنة تهدف الى اسعاد الفرد والمجتمع،

وتدل على الرفعة والاحترام والمكانة العالية وان الانسان الذي يوصف بهذه القيم تجعله موضع احترام؛ لأن القيم جزء أصيل من كيان المجتمع الاسلامي، فهو مجتمع العزم والمحافظة والاصلاح والقيام بأمر الدين والتمسك به والاستقامة عليه.

المبحث الثاني

دور البيئة في غرس القيم

المطلب الاول : البيئة الثقافية.

تُعد البيئة الثقافية عاملاً مهماً لغرس القيم السليمة منذ الطفولة ضمن المنهج الإسلامي الصحيح النابع من القرآن الكريم والسنة المطهرة من خلال التلقين والتوجيه، مع الإفادة من تربية السلف وحسن تطبيقهم لهذا القيم وتنميتها, قالعليه الصلاة والسلام:((مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ)) (البخاري،1980،1358), فالطفل التي تربي على القيم السليمة, كالصدق والأمانة والعفو والإحترام, وغيرها من القيم, لا بدّ أن ينعكس ذلك في سلوكياته, وتصرفاته, بمعنى آخر سيكون(غرساً مثمراً).

تُعرَّف الثقافة بأنها, "مجموعة القيم الأساسية، والإدراكات، والسلوكيات التي تَعَلَّمَها الفرد من الأُسرة ومن المؤسسات الأُخرى في المجتمع، مثل المؤسسات الدينية، والتعليمية، والمهنية" (طه،2008،121).

الثقافة كمبحث رئيسي منذ بنائها للمشاركة في هذا الحوار القوي (عبدالله، 2022، صفحة 22) ، الذي بدأ يدخل على العلوم الإنسانية والإجتماعية والذي مازالت آثاره قائمة حتى الآن، ويبدو لنا وبشيء من التسرع أن الثقافة إنحازت إلى قيمة الإنسان، فقد إشتغلت عليه كموضوع, حيث يتم إكتساب القيم الشخصية عن طريق التنشئة الإجتماعية، فهناك عوامل تشترك في تكوينها كالأُسرة والبيئة والتعليم..... وغيرها(زريق،1995،76).

تُعد الأُسرة من أهم الجماعات الإجتماعية الأولية التي تتولى غرس منظومة القيم للمجتمع ككل، وفي نفس الوقت غرس القيم التي تعتنقها الأُسرة ذاتها، غير أن الأُسرة لا تنقل كل عناصر الثقافة لإفرادها بل تقوم بعملية قيمية تقويمية، فالأسرة كجماعة من الأفراد يتفاعلون مع بعضهم البعض، فهي الهيئة الأساسية التي تقوم بعملية التطبيع الإجتماعي، وهي التي تَنقلُ إلى الطفلِ خلال مراحل نموهِ جوهر الثقافة لمجتمعٍ معين.

فلو أخذنا مثلاً (قيمة الصدق) نجد أن القرأن الكريم يحث على هذه الصفة ومشتقاتها في مواضع عدة ففي سورة التوبة , قال تعالى(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين119) ,وفي سورة مريم (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا 41) وفي سورة الزمر قال تعالى(,وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ33) , وغيرها من الآيات التي تدلُّ على الصدق ومشتقاته, والتي يكتسبها الطفل من خلال بيئته الثقافية, في البيت والمدرسة والمسجد.....وغيرها.

كذلك نجدُ في السنة النبوية ما يحثنا على ذات القيمة, قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: ((عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا)) (مسلم،2013،2067), وكان من دعاءه: ((وَأَسْأَلُكَ لِسَانًا صَادِقًا)) (د.احمد، 2024، صفحة 338) , ومع المتابعة والعناية, يتحول هذا الخلق الى قيمة ثابتة لدى صاحبها.

كما يُمكن أن تواجه الأُسرة تحديات كبيرة إتجاه التغيرات الراهنة في المجتمع، حيث تتولى الأُسرة مسؤولية غرس القيم الإجتماعية والثقافية السليمة لأفرادها– أطفالاً أو شباباً – من خلال غرس قيم التسامح و المحبة والتعاون(نايل،2024،30) ، والقيم الوطنية كحب الوطن، فكلما كانت عملية التلقين صحيحة كلما تماسك المجتمع، فالأسرة المثقفة هي التي لديها قدر كبير من الثروات الثقافية، وبإستطاعتها تقديم أكبر قدر من الخبرات لأبنائها عن طريق توفير الجرائد والمجلات والكتب لتدريبهم على الإطلاع، وتنمية روح المناقشة والنقد من خلال أراء الكُتّاب والصحفيين، وتوفير وسائل الإعلام في المنزل مع ضرورة مراقبتها, حيث تلعب هذه الوسائل دوراً كبيراً في تنمية المعارف وتوجيهها من خلال ما تقدمه من معلومات علمية ودينية وثقافية، وبالنتيجة غرس مفاهيم سليمة يمكن أن تلعب دوراً كبيراً في تشكيل قيم صحيحة لدى الأبناء (اسعد،1994،114).

كما يمكن أن تلعب البيئة الثقافية دوراً في غرس المفاهيم المرتبطة بالبيئة المادية للمدرسة ولها نفس الأهمية, فيجب أن تكون المدرسة مكاناً يُعطي للتعلم قيمته الثقافية وأن يشعر المتعلمون والمعلمون بالدعم والتقدير, وأن تكون مشبعة بقيم التسامح والتكافل والإنصاف على جميع المستويات وفي جميع الأنشطة (المرهج، 2022، صفحة 26) , وتجب حماية أي مجموعة مستضعفة، وتعزيز ثقافة المساواة, ويتطلب إنشاء بيئة ثقافية يتعلم فيها المتعلمون العيش في المجتمع ومعاملة بعضهم البعض ومعلميهم باحترام، قيادة قوية، تقع على عاتق مدير المدرسة.

ولا شك أَن الثقافةَ سواءٌ كانت على مستوى الأفراد أو المجتمع لا تأتي عن فراغ، وإنما يتم إكتسابها من عوامل بيئية تحيط بالفرد, حيث تُعتبر هذه العوامل بمثابة روافد ترفد الفرد بأنواعٍ من الثقافات والقيم, حتى يكون الإنسان مثقفاً، **وَأَبرز هذه الروافد:** (ليلة، 1966، صفحة 399)

1. الدين، الذي يلعب دوراً مهماً في دعم الثقافة بمجموعة من المبادىء والقيم والأفكار التي تضبط سلوكيات الإنسان تجاه الآخرين، وتعطي هذه المبادىء والقيم النابعة من الدين إطاراً لإظفاء معنى على الحياة وتصوراً ينبغي أن يتسق معه التنظيم الإجتماعي الواقعي، فالشريعة الإسلامية المتمثلة بمصدريها القرآن الكريم, وسنة المصطفى محمد(ﷺ), فضلاً عن المصادر المُعتبرة الأخرى غنيةٌ جداً بهذا الجانب وغيره, والذي يمدُّ الثقافة ما يفيض عنها, الى الحدِّ الذي يصحُّ أن نقول عنها (الثقافة الإسلامية), فعلى سبيل المثال لا الحصر , في قوله تعالى في سورة النحل(ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون90), نجد فيها من القيم ما ينسجم وتحديدنا لها, وإعتبار الدين مصدراً لها.
2. التراث، والذي يشير الى الخبرة المتراكمة لدى الأجيال المتعاقبة، وتضم العادات والتقاليد والأعراف والقيم والمعايير المنحدرة من الماضي، لذلك أبقى الإسلام على الكثير من القيم الأصيلة والتي كانت سائدةً قبله, قال رسول الله عليه الصلاة والسلام ((فَعَنْ مَعَادِنِ العَرَبِ تَسْأَلُونِي؟ النَّاسُ مَعَادِنُ، خِيَارُهُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلاَمِ، إِذَا فَقُهُوا))(البخاري،149), فاذا كان الوحي هو أساس شرعية القيم المتولدة عن الرافد الاول (الدين)، فان الماضي هو أساس شرعية القيم المنتمية إلى التراث.
3. التفاعل الإجتماعي، والتي على أساسِ قيمها ومعاييرها يتفاعل الأفراد, أو ما تسمى(العلاقات الإجتماعية), فأما ينتج عن ذلك التفاعل علاقاتٌ إيجابية, كالصداقة والزواج والتعاون...وغيرها, وأما أن يكون هناك عدمُ إتساقٍ بين تفاعلات الأفراد وسلوكياتهم, ومتطلبات الثقافة؛ مما يؤدي إلى الخصومة والصراعات والحروب...وغيرها؛ ولذلك فإن الإسلام دعا إلى قيم التكافل والتراحم والتعاون...وغيرها, من أجل أن يتحول هذا التفاعل الى تماسك إجتماعي, قال رسول الله(ﷺ): ((مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ شَيْءٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)) (د.احمد، 2024، صفحة 333) .

قد يتصور البعض أن الثقافةَ مجموعةٌ من المعارف والمهارات والعادات والإتجاهات التي يتخذها الفرد بشكل تلقائي من المجتمع المحيط به، وأن الفرد يتقبلها ويستسلم لها دون أيَّ مقاومةٍ أو رفضٍ، ولكن الحقيقة أن الفرد لا يستوعب أمر الثقافة ولا يكتسبها بشكل تلقائي مفاجئ دون إختيارٍ أو تعقُّلٍ، فإكتساب الثقافة يختلف من فرد إلى آخر بإختلاف العوامل الوراثية والنفسية الخاصة بكل فرد، وباختلاف أساليب التفاعل الإجتماعي التي يتعرض لها الفرد، بمعنى آخر، أن الإنسان يختار من الثقافة ما يناسب تكوينه النفسي، وما يتناسب ومفاهيمه وتفكيره وإتجاهاته، فهو يأخذ من الثقافة ويضيف إليها ويؤثر فيها بشكل أو بآخر.

المطلب الثاني : دور الثقافة والمثقف في دعم منظومة القيم.

بحسب المتخصصين فان الثقافة تدعم القيم الإنسانية، وتساعد على نشرها وترسيخها، وهذا الهدف الأساسي يجري وفق طرائق وأساليب ثقافية متعددة، قد تختلف في المسارات والإجراءات، لكنها تلتقي بالنتيجة، في دعمها للقيم التي تقلل من العادات والتقاليد والقيم غير الجيدة في المجتمع, وبما أن المثقف هو أداة الثقافة من خلال فكره وإبداعه ونشاطه في ميادين متعددة أيضا، فلنا أن نسأل، ما هو الدور المنوّط بالمثقفين اليوم في ظل السرعة المذهلة في الإعلام وصناعة الصورة، والتأثير في المتلقي بوسائل وأدوات كثيرة والتي إستسهلها مثقفونا العرب ولم يولوها العناية التي تستحق؟ أليس واقع النخب العربية خير دليل على هذا الواقع المهزوم؟!

الحقيقة إنَّ زمن مفاهيم النخب الطلائعية، صانعة الجماهير في مكاتب حزبية التي تخلو من الديمقراطية الداخلية، والحرية، والعدالة، وغيرها من الشعارات التي هي ضمن شعاراتها وبرامجها الظرفية العابرة، لم تصنع مجداً، ولم تغير حالاً، ولم تبنِ حضارةً يمكن أنْ تُضاهي ما صنعه الأجداد، أو ما يحققه الأغراب اليوم، والسبب هم المثقفون أَنفُسهم، من خلال عدم تجاوزهم فكرهم الثابت

وإيديولوجياتهم البالية، التي كانتْ أسيرة لجهاتٍ سياسية، أو منظمات تدّعي إمتلاك الحقيقة، وتصادر أفكار الناس، وتقرر بدلاً عنهم (مسيم،2012،160).

من هنا نجد أن معظم المثقفين العرب ينظر إلى نفسه على أنه مختلف، وأن الثقافة محصورة به وأنه لا يتشابه مع الآخرين، لذلك عليه أن ينعزل في برج عال!! هذه النظرة خاطئة بطبيعة الحال، المثقف الجيد، هو إنسان يتميز بقدرته على التأثير في الآخرين، وهذه السمة أو الميزة، تتطلب أن يكون المثقف مثل غيره، من حيث الإنسجام والتناغم وإقامة العلاقات الإجتماعية الناجحة، حتى يكون مؤثراً بفكره على الجميع، لاسيما في هذه المرحلة التي ينظر إليها المراقبون على أنها نقطة تحوّل في تاريخ المجتمعات العربية؛ لذلك يجب أن يدرك المثقف بأن ثقافة الأُمة العامة تتجه إلى إبتلاع الثقافات الفرعية أو التحتية، والثقافة العالمية تتجه إلى القضاء على الثقافات المحلية، كذلك يجب على المثقف الواعي أن يعلم أن الإتجاه العام اليوم ينحو إلى ضرورة المحافظة على الثقافات المحلية, وتجتهد الشعوب الآن في إحياء ما جمُدَ وجَفَّ من تراث الثقافة الماضية الخاصة بها والمحافظة على الباقي من عناصر هذه الثقافة المحلية التقليدية؛ لأن في ذلك محافظة على كيان الشعب نفسه، في مقابل هذا نلاحظ أن الثقافة العالمية تغلبت على غيرها مع الزمن ،فكلما تحضّر الشعب ، فقد جزءاً من تراثه الشعبي المحلي و فقد نتيجة لذلك جزءاً من شخصيته (مخلوف، 2018، صفحة 369) .

إذن المثقف إنسان فاعل ينتهز فرص قراءة المستقبل، والرؤى القادمة، ودراستها ، وإستنباط وإبراز القضايا التي قد ينشأ منها إشكاليات في واقع الثقافة ومصادرها، وأن يسبق الباطل بخطوات قبل وقوعه، بالإصلاح والنصح المبكر، لا أن ينتظر وقوعه حتى يبدأ بالإصلاح والنصح وربما يتحول هذا الإصلاح بسبب بعد نظره إلى حق دون أدنى خسارة فيتحول الباطل إلى حق لحسن تدبير المثقف وعلمه وأسبقيته بمعرفة وقوع الخطر قبل قدومه، وهذا الإسلوب غالباً ما نجده في القران الكريم, حيث نجد أسلوب التحذير يسبق الحدث, خشية الوقوع في المحظور , والمتمثلة ب (النواهي),قال تعالى في سورة التحريم (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ6), وقوله تعالى في سورة الحجرات(يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم12)0,وقوله تعالى في سورة المائدة **(يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون90)**, ...الخ من الايات.

كذلك بالمقابل نجد أن هناك الكثير من الآيات التي تُرغّب وتدعو إلى أسباب النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة، والمتمثلة ب(الأوامر), قال تعالى في سورة ال عمران (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ133), وقوله تعالى في سورة النحل(**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون90**), وهكذا بقية الآيات التي تشتمل على الأوامر , فضلاً عن السنة النبوية المطهرة, وأعمال السلف الصالح, وهي أكثر من أن تُعد.

الذي يعنيينا من ذلك, هي ثقافة الإسلام المشتملة على الأوامر والنواهي والمواعظ والأمثال في ترسيخ منظومة القيم لدى الإنسان, والتي ينبغي على المثقف أن يتحلى بها بالإبداع الثقافي، وعلى المثقف مسؤولية كبرى للمحافظة على الموروث الثقافي؛ لإنَّ ثقافتنا هي نحن فكيف نفرط في شخصيتنا، ولا بد كذلك في نفس الوقت من مثقفينا من تطوير ثقافتهم أي إقتباس ما يقوّمها و يجعلها دائما متماشية مع عصرها وصورته ومطالبه، وعلى حماية هذا الموروث من العناصر التي لا تتفق مع طبائعنا وتقاليدنا، وعقيدتنا وقيمنا الأخلاقية والنمط العام للمجتمع (بدرات، 2006، صفحة 128)

الخاتمة والنتائج

بعد هذه الرحلة المباركة لابد أن نقف وقفة تأمل واستذكار لما حققه البحث من مقاصد وما توصل اليه من نتائج اجملها بالاتي:

1- نستنتج ان القيم هي مجموعة من الأحكام المعيارية المتصلة بمضامين واقعية يتشربها الفرد من خلال انفعاله وتفاعله مع المواقف والخبرات المختلفة.

2- بينت لناالقيم المثل العليا التي ينشدها الانسان لذاتها ولا يلتمسها لغرض يبتغيه من ورائها ، لأن الأشياء التي يطلبها الانسان لتحقيق أغراض معينة تعتبر نسبية ومتغيرة .

3- تولد لدينا مجموعة من القوانين والأهداف والمثل العالية التي تواجه الانسان سواء في علاقته بالعالم المادي او الاجتماعي او السماوي، اذ ان القيم انها ضرب من النظام موجود يميل إليه الناس في الطبيعة.

4- الثقافة هي مجموعة القيم الأساسية، والإدراكات، والسلوكيات التي تَعَلَّمَها الفرد من الأُسرة ومن المؤسسات الأُخرى في المجتمع، مثل المؤسسات الدينية، والتعليمية، والمهنية.

5- تبين ان المنظومة القيمية هي مجموعة من المعايير الإجتماعية، والأفكار، والإتجاهات، والممارسات والسلوكات التي تتكون لدى الفرد من خلال تفاعله مع بيئته الإجتماعية، بما تحويه من مواقف وخبرات فردية وإجتماعية، بحيث تمكّنه من إختيار أهدافٍ وتوجيهاتٍ لنظام حياته، وفي تعامله مع الآخرين.

6- تلعب البيئة الثقافية دوراً في غرس المفاهيم المرتبطة بالبيئة المادية للمدرسة ولها نفس الأهمية.

7- يلعب الدين دوراً مهماً في دعم الثقافة بمجموعة من المبادىء والقيم والأفكار التي تضبط سلوكيات الإنسان تجاه الآخرين.

8- تُعد الأُسرة من أهم الجماعات الإجتماعية الأولية التي تتولى غرس منظومة القيم للمجتمع ككل، وفي نفس الوقت غرس القيم التي تعتنقها الأُسرة ذاتها.

9- تُعد البيئة الثقافية عاملاً مهماً لغرس القيم السليمة منذ الطفولة ضمن المنهج الإسلامي الصحيح النابع من القرآن الكريم والسنة المطهرة من خلال التلقين والتوجيه، مع الإفادة من تربية السلف وحسن تطبيقهم لهذا القيم وتنميتها.

10- تواجه الأُسرة تحديات كبيرة إتجاه التغيرات الراهنة في المجتمع، حيث تتولى الأُسرة مسؤولية غرس القيم الإجتماعية والثقافية السليمة لأفرادها من خلال غرس قيم التسامح و المحبة والتعاون.

المصادر

القران الكريم

أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي. (1972). *المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج*. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

ابي الحسن احمد بن فارس بن زكريا ابن فارس. (1979). معجم *مقاييس اللغة*. (تحقيق : عبد السلام هارون، المحرر) بيروت: دار الفكر.

احمد بن محمد بن علي الفيومي المقري. (1983). *المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي*. بيروت: المكتبة العلمية.

الشيخ مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي الفيروز آبادي. (2011). معجم *القاموس المحيط : رتبة و وثقه: خليل مأمون شيحا*. بيروت: دار المعرفة.

بن مالك نبي. (1991). *تأملات – مشكلات الحضارة*. بيروت: دار الفكر المعاصر.

د. حسن عبد الحميد أحمد رشوان. (2006). *البيئة والمجتمع دراسة في علم اجتماع البيئة*. الاسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.

د.علي عبد الهادي ،وطه ياسين خضير المرهج. (2022). *الفهم الديني للعلمانية والانسنة،في الفكر الفكر العربي المعاصر*. بغداد: مجلة الفلسفة/ كلية الاداب الجامعة المستنصرية،العدد 26 كانون الثاني.

سعاد مخلوف. (2018). *المثقف وفعالية التنمية والتنوير*. الجزائر: جامعة حاج لخضر، ، مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد/35.

شبل بدرات. (2006). *التنمية الثقافية والتنوير*. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعة.

صموئيل هنتجنتون. (2000). *صدام الحضارات اعادة صنع النظام العالمي*. (ترجمة : طلعت الشايب تقديم : صلاح قنسو، المحرر) القاهرة: دار الكتب المصرية.

ضياء زاهر. (1984). *القيم في العملية التربوية* . القاهرة: مؤسسة الخليج.

عبد اللطيف الفارابي. (1994). معجم *علوم التربية*. الدار البيضاء: دار الخطابي للطباعة والنشر.

عبد الله الصعيدي. (2005). *دور السياسات الإقتصادية والمالية والنقدية في تحقيق منظومة الإستقرار الإقتصادي* . القاهرة: المؤتمرالخامس للمدخل المنظومي في التدريس والتعلم , جامعة عين الشمس– كلية التربية.

علي النشار. (1971). *نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام* . القاهرة: دار المعارف.

علي ليلة. (1966). *النظرية الاجتماعية ونشأة النظام الرأسمالي*. بيروت: الشركة الفنية للنشر والتوزيع.

محمد إسماعيل عمر. (2015). *مقدمة في علوم البيئة*. القاهرة: دار الكتب العلمية.

محمد السيد أرناؤوط. (2006). *الإنسان وتلوث البيئة*. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.

محمد بن مكرم بن علي الأفريقي ابن منظور. (1994). *لسان العرب*. بيروت: دار صادر.

محمد عابد الجابري. (1987). *تكوين العقل العربي*. المغرب: المركز الثقافي العربي.

محمد محمودمحمد وسام علي عبدالله. (2022). *التعريف بايات الاحكام* . بغداد: مجلة المستنصريةللعلوم والتربية،23(2).

ندى نايل د.احمد. (2024). *اثر الاكراه على الرجعة دراسة فقهية مقارنة*. بغداد: مجلة كلية التربية الاساسية–الجامعة المستنصرية،العدد30.

References

Abd al-Hadi, Ali, & Al-Marahij, Taha Yassin Khudair. (2022). The religious understanding of secularism and humanism in contemporary Arab thought. *Journal of Philosophy, College of Arts, Al-Mustansiriya University*, (26), January. Baghdad.

Al-Farabi, Abd al-Latif. (1994). *Dictionary of Educational Sciences*. Casablanca: Dar al-Khattabi for Printing and Publishing.

Al-Fayumi, Ahmad ibn Muhammad ibn Ali al-Muqri. (1983). *Al-Misbah al-Munir fi Gharib al-Sharh al-Kabir lil-Rafi'i*. Beirut: Al-Maktabah al-'Ilmiyyah.

Al-Firuzabadi, Majd al-Din Muhammad ibn Ya'qub al-Shirazi. (2011). *Al-Qamus al-Muhit* (Reviewed and verified by Khalil Ma'mun Shiha). Beirut: Dar al-Ma'rifah.

Al-Jabiri, Muhammad Abid. (1987). *The Formation of the Arab Mind*. Morocco: Al-Markaz al-Thaqafi al-'Arabi.

Al-Nashar, Ali. (1971). *The Emergence of Philosophical Thought in Islam*. Cairo: Dar al-Ma'arif.

Al-Nawawi, Abu Zakariya Muhyi al-Din Yahya ibn Sharaf. (1972). *Al-Minhaj Sharh Sahih Muslim ibn al-Hajjaj*. Beirut: Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi.

Al-Sa'idi, Abdullah. (2005). The role of economic, financial, and monetary policies in achieving economic stability. In *The Fifth Conference on the Systemic Approach in Teaching and Learning*, Ain Shams University – Faculty of Education. Cairo.

Arna'ut, Muhammad al-Sayyid. (2006). *Man and Environmental Pollution*. Cairo: Al-Dar al-Misriyyah al-Lubnaniyyah.

Badrat, Shibl. (2006). *Cultural Development and Enlightenment*. Alexandria: Dar al-Ma'rifah al-Jami'ah.

Bennabi, Malek. (1991). *Reflections – The Problems of Civilization*. Beirut: Dar al-Fikr al-Mu'asir.

Huntington, Samuel. (2000). *The Clash of Civilizations and the Remaking of World Order* (T. Al-Shayib, Trans.; S. Qunsu, Ed.). Cairo: Dar al-Kutub al-Misriyyah.

Ibn Faris, Abu al-Hasan Ahmad ibn Faris ibn Zakariya. (1979). *Mu'jam Maqayis al-Lughah* (A. S. Harun, Ed.). Beirut: Dar al-Fikr.

Ibn Manzur, Muhammad ibn Makram ibn Ali al-Ifriqi. (1994). *Lisan al-'Arab*. Beirut: Dar Sadir.

Layla, Ali. (1966). *Social Theory and the Emergence of the Capitalist System*. Beirut: The Technical Company for Publishing and Distribution.

Makhlouf, Souad. (2018). The intellectual and the effectiveness of development and enlightenment. *Journal of al-Bahith in Human and Social Sciences, University of Haj Lakhdar*, (35). Algeria.

Muhammad, Mahmoud, Muhammad, Wisam Ali, & Abdullah, Ali. (2022). Introduction to the verses of rulings. *Al-Mustansiriya Journal of Science and Education*, 23(2). Baghdad.

Nada, Naila D. Ahmad. (2024). The effect of coercion on return in Islamic jurisprudence: A comparative study. *Journal of the College of Basic Education – Al-Mustansiriya University*, (30). Baghdad.

Rashwan, Hassan Abdel-Hamid Ahmed. (2006). *The Environment and Society: A Study in Environmental Sociology*. Alexandria: Al-Maktab al-Jami'i al-Hadith.

The Holy Qur'an.

Umar, Muhammad Isma'il. (2015). *Introduction to Environmental Sciences*. Cairo: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.

Zahir, Dia. (1984). *Values in the Educational Process*. Cairo: Gulf Foundation.